المرحلة الثالثة (منتصف القرن 14-1453) معرفة أفضل بالإسلام ومقارعة على أرض الواقع

أنجيليكي غريغوري زياكا *

هذه المرحلة هي الأهم بفعل المقارعة المباشرة الناتجة عن الغزوات العثمانية في القرن 14 لآسيا الصغرى وغرب أوروبا في قلب العالم البيزنطي والمسيحي. تحرص النصوص المدونة في هذه الفترة على الاعتناء بالعقيدة المسيحية، وتشجيع أو شد عضد المسحيين الخاضعين منذ هذا التاريخ للحكم الإسلامي، ومساعدتهم في تحصيل معرفة أفضل بالدين الإسلامي لتمكينهم من مقارعته بالحجة.

فالمؤلفون في هذه الفترة التاريخية واعون تمام الوعي بأن وجود الإسلام على أبوابهم يفرض عليهم معرفته على نحو أفضل فضلاً عن الدخول في حوارٍ معه.

ولأجل فهم الخاصية المميزة لهذه المرحلة لا بأس من التذكير بأنه وفي أواخر القرن 11 عندما كان المسلمون -خصوصا منهم الأتراك السلاجقة- يزحفون على آسيا الصغرى بعد معركة مانزيكرت (1071) بدأ الخوف من إسلام محارب ومنتصر يفرض نفسه واقعاً. غزت القبائل التركية التي اعتنقت الإسلام مناطق شاسعة إغريقية ومسيحية في آسيا الصغرى، وأسسوا بها إمارات. يتحدث (ديمتريوس كيدونيس) -وهو كاتب ينتمي إلى القرن 14- عن مجمل الأوضاع في بداية القرن في الإمارات التركمانية بآسيا الصغرى، فيقول: «استولوا على الأراضي التي كنا نزرعها، من هليسبون إلى جبال أرمينية شرقا، دكوا مدننا دكاً، ونهبوا كنائسنا، ونبشوا قبورنا، وغطوا الأرض بالدماء والجثث، ودنسوا إيمان الساكنة، فأجبروهم على إنكار الله الحق والقبول بأساطيرهم، أذلُّونا واستعبدونا شر استعباد ومرغوا كرامتنا البشرية في الوحل، بعد أن نهبوا ثرواتنا وجردونا من حريتنا تركونا كالعبيد المغلوبين على أمرهم واستغلوا لصالحهم الرمق الأخير من قوانا نحن معشر المساكين التعساء»(1).

كما أن المرحلة الثالثة من التجاذب الإغريقي/الإسلامي كشفت عن مقارعة مباشرة فرضها واقع ضاغط، ولو أن بعض المفردات بدأت القناعة به تترسخ، ومؤداها أن الدخول في حوار -أو على الأقل في تواصل- مع الخصم أحسن بكثيرٍ من رفضِه، هكذا صرنا نلاحظ أن الجزء الأكبر من أدبيات هذه الفترة باتت تفضِّل التواصُل المباشرَ والنقاش بين المسيحيين والمسلمين، والذي يعدّ الذَودُ عن الإيمان المسيحي جزءًا لا يتجزأ منه. وفي الوقت الذي تضعُفُ فيه الإمبراطورية البيزنطية وتتراجع تحت ضربات العشائر التركية المسلمة راحت تنمو وتزدهر أدبياتٌ دينيةٌ مختلفة، أدبيات يكتبها الرهبان في لغة بسيطة وشعبية، ويكتبها الأباطرة في لغة إغريقية مرهفة، الغرضُ منها الوقوفُ

في وجه الإسلام وانتشاره، فضلاً عن سعْيها الحثيث إلى شرح أسباب تراجع المسيحية لعموم النصارى المغلوبين على أمرهم.

شاركَتْ في هذه المقارعات والتواصل بين الديانتين في هذه الفترة شخصياتٌ مرموقةٌ منها الإمبراطوران: جاس الرابع القانطاقوزي (1292-1383) ومانويل الثاني باليلوغ (1348-1425) ، كما أسهم فيها علماء الفترة البيزنطية المتأخرة كالقديس گريگوار بالاماس (1295-1296) والراهب جوزيف □رينيوس (1350-1432).

جان الرابع:

أ - أربع منافحات ضد أتباع محمد:

ب- أربعة خطابات ضد محمد: دخل جان الرابع (1292-1383) في حوار مباشر وجمعته علاقات صداقة مع الأمراء في الشمال الغربي لآسيا الصغرى، ثم كتب مقالات جدلية ضد الإسلام(2).

ينحدر جان الرابع من عائلة بيزنطية عريقة في كانتاكوزين(3) وقد شغل وظائف سامية في القصر الإمبراطوري قبل أن يكون إمبراطورا (1341-1354) ، عين في منصب دوميستيكوس (رئيس الحكومة) تحت حكم أندروتيك الثالث (1328-1341) وصار عند وفاة هذا الأخير وصياً على ابنه القاصر جان الخامس. دفعه طموحُهُ الزائدُ إلى مواجهة الملكة/الأم آن باليلوغ، وفي أكتوبر من السنة نفسها أعلن إمبراطوراً من قبَل الجيش في ديديمتيكوس، ودامت الحرب الأهلية التي أعقبت ذلك إلى سنة 1347 وهو التاريخ الذي اقترنت فيه كريمته هيلين بالإمبراطور جان الخامس، وأعلن نفسه إمبراطوراً معه.

أدت الحرب الأهلية إلى صدِامات عنيفة في المجالين: الاجتماع والديني بتيسالونيك، وطالت تداعياتُها الإمبراطورية برُمَّتها(4). نشبت هذه المصادمات من جهة بين المتدينين المتزمتين والأرستقراطيين(5), ومن جهة أخرى بين الهيزاشطيين وغرمائهم(6).

هذه المصادماتَ وضعتْ وجهاً لوجهٍ تصورات وإيديولوجيات وقناعات عدة ذات طبيعة سياسية وذات صلة بالأُسَر الحاكمة بالنسبة للأرستقراطيين، وذات طبيعة دينية بالنسبة للهيزاسطسيين، وذات طبيعة اجتماعية بالنسبة للمتدينين المتشددين. وكان هؤلاء الأواخر -وهم المنحدرون من شرائح شعبية- يطالبون بمزيد من الحقوق للشعب وانحازوا للدفاع عن الإمبراطور الشرعي جان الخامس ضد كانتاكوزين، وأجبروا العديد من الأرستقراطيين الذين يستأثرون بخيرات المدينة على مغادرة تيسالونيك.

كانت الإمبراطورية مهدَّدةً في هذه الفترة بعدة خصوم خارجيين منهم الصرب والبلغاريون واللاتين المتواجدون حولِ بحر إيجه، وكذلك الأتراك في آسيا الصغرى. إلى حدود سنة 1337 لم تكن القبائل التركية التي استولت على آخر المواقع البيزنطية في آسية الصغرى تشكِّلُ خَطراً بسبب انقساماتها السياسية، غير أنّ فشل الحملة العسكرية التي

قادها القائد العثماني أورخان (1329) كشفت أن أي هجوم مضاد في آسيا الصغرى سيكون من الآن مصيره الفشل؛ لذلك انصبت جهود كانتاكوزين والإمبراطور أندرونيك الثالث على الدفاع عن الأراضي البيزنطية حول بحر إيجه وفي بلاد البلقان، وسعيا جاهدين لتنمية علاقات الصداقة والتعاون بين إمارتي أيدين (1403-1300) وساروهان (1410-1300) اللتين تحتلان غرب آسيا الصغرى، والمقارنة الواقعية المميزة لعلاقته بالإسلام -والتي نجدها في أعمال كانتاكوزين- تحيل في البدء إلى مشواره السياسي عندما كان دوميستيكوس الأكبر قبل أن يكون إمبراطوراً يطبق سياسة عاقلة في علاقته بالأتراك. أثناء صيف 1335 التقى كانتاكوزين بعمر أمير أيدين في كلازومينس، وأبرم معه اتفاقاً للتعاون، تطور ليصير صداقة متينة بين الرجلين. ابتداءً من 1344 أبرم كانتاكوزين اتفاقاً جديداً مع السلطان العثماني أورخان وسلّمه يد كريمته تيودورا، بيد أن هذه السياسية لم تتمخض عنها النتائج المرجوة على المدى الطويل، وفي عام 1348 توفي عمر

وصار أورخان السلطان الوحيد في المنطقة، وفي سنة 1354 انقلب الوضع جذرياً لصالح العثمانيين(7).

في 2 مارس من السنة نفسها ضرب زلزالٌ عنيفٌ مضيق الدردنيل واستغل العثمانيون الحدث لينزلوا بالضفة الأوروبية والاستيلاء دون قتال على مدينة كاليبوليس المهمة، ومنها انطلقوا لغزو الأراضي الأوروبية التابعة للإمبراطورية البيزنطية.

تحمل كانتاكوزين المسؤولية عن الهزيمة فقرر الاعتزال، وارتداء لباس الراهب بعد أن شاهد حلفاءه الأتراك يستولون على مدينة كاليبوليس، ويستقرون بصفةٍ نهائيةٍ في أوروبا. اعتزل كانتاكوزين في دير مانغانون بقسطنطينة، ثم في جبل أتوس، حيث توفي في عام 1383. وفي هذه الفترة كرس جهوده لتأليف عدة كتب في العقيدة والجدل ذات أهمية، كان رجلاً ذا ثقافةٍ واسعةٍ ومُجادلاً مهماً في زمانه، وهو الإمبراطور البيزنطي الوحيد الذي ألف كتباً غزيرة، وهذا فضلاً عن كتبه الكلامية والجدالية وكتابه في التاريخ والتي كتبها بالاسم المستعار للراهب كريستودولوس، والتي كانت موضوعاً لدراسة إغريقية لافتة(8), كتب مؤلفيْن مهمين في المنافحة عن العقيدة المسيحية ضد آراء الإسلام، جمعها تحت عنوان «أربع منافحات ضد أتباع الديانة المحمدية»(9) و«أربع مقالات ضد محمد»(10).

لم تُول البحوثُ القديمةٌ أهميةً خاصةً لمؤلَّفات كانتاكوزين وخصوصاً منها الكلامية/الجدالية التي كان ينظر إليها على أنها غير ناضجة كفاية(11), غير أن البحوث الإغريقية والأجنبية المعاصرة تعترف بأهميتها بالنظر إلى ما يميزها من انسجام فكري، ولتوسعها في القضايا الكلامية والجدالية. لذلك فحياة ومؤلفات هذا الإمبراطور البيزنطي - المطبوعة بعلاقاته الكثيرة والمتنوعة في المجالين: السياسي الداخلي والخارجي للإمبراطورية البيزنطية في القرن الرابع عشر- تحظى اليوم بالعديد من الدراسات على شكل مقالات وتراجم(12), وحظيت المنافحات والخطابات التي ألفها كانتاكوزين رداً على المسلمين ونبيهم باهتمام خاص، ولقد عزز الانتشار الواسع لهذه النصوص في القرنين 14

و19 هذا الاهتمام. هذا الانتشار كما تسبب في نقل هذه النصوص إلى اللغة الشعبية على يد ميليتكوس سيريگوس(13) وترجمتها إلى السلا□ونية والرومانية؛ كشف عما تحظى بها هذه الكتابات المناهضة للإسلام عند السكان المسيحيين الخاضعين(14). فهذه النصوص الدفاعية المدعومة بالعديد من المراجع الإنجيلية كانت تهدف إلى إعادة الثقة إلى عموم النصارى والحفاظ على إيمانهم(15). من هذا المنظور انبرى الإصلاحيان في زوريخ تيودور بيبلياندي (1504/1509-1564) ورودولف گوالتر (1519-1586) لدراسة نصوص هذا الرجل، والتي أتت ترجمتها اللاتينية لإعطاء دفع روحي للكفاح ضد الإسلام، الذي نجحت الغزوات التركية في نشره حتى أوروبا الوسطى(16).

ألف كانتاكوزين المنافحات باسم مسلم اعتنق المسيحية وصار راهباً اسمه ميليتيوس، ميليتيوس هذا رجل ميسور وله باع طويل في الثقافة، وكان قبل اعتناقه المسيحية في القصر العثماني ومدافعاً شرساً عن الإسلام. وبالنظر إلى مكانته فإن اعتناقه المسيحية خلف بلبلبة في القصر السلطاني؛ لذلك قام علامة مسلم يدعى شمس الدين الأصفهاني ببعث رسالة لهذا الرجل يطلب منه فيها العودة إلى الإسلام وإلى قصر السلطان، فطلب ميليتيوس من الإمبراطور المتمكن أكثر في الكتابة بتحرير جواب باسمه رداً على هذه الرسالة.

في رسالة شمس الدين -وبعد أن وجه تحياته الحارة ودعواته بالرضوان إلى الراهب ميليتيوس- ركز على الجدال المعروف الذي يخص به المسلمون غرماءَهم النصارى، ثم ثارت ثائرته على تأليههم للمسيح ذاهبا إلى أن عقيدة التثليث اعترافا بثلاثة آلهة، بعد ذلك أنكر إمكان تجسد الإله، ورفض بالمرة رواية صلب المسيح، وأن الله منزه عن المعاناة والألم، واتهم المسيحيين بانتهاك قوانين موسى والإنجيل، وسحبهم اسم محمد من الكتابين السماويين المقدسين.

في المنافحة الأولى رد كانتاكوزين الدعوى الإسلامية القائلة باستحالة ألوهية المسيح، وراح يسرد الحجج الإنجيلية التي يراها تثبت أن المسيح ابن الله. إن الموضوع المركزي في النقاشات الدينية بين النصرانية والإسلام يدور حول أسبقية أحدهما على الآخر، وأسباب كل هذه الانتصارات التي يحققها الإسلام، وهذه النقطة الأخيرة بالذات والتي كانت حاضرة بقوة ما بين القرن الحادي عشر والخامس عشر ستعرف توسعاً أكبر بعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية. سيتناول كانتاكوزين هذه النقطة بدورها كما أن ميليتيوس أقر في «المنافحة» بفضل الله عليه ولطفه به عندما أخذ بيده إلى الدين الحق بعد أن أدرك بأن الإسلام دين باطل ومتهافت.

في «المنافحة» الثانية يتناول المؤلف قضايا التجسيم والفداء والصلب والقيامة والمسيح المرفوع وظهوره في آخر الزمان ليحكم بالعدل، وعلى النقيض تماماً من عقيدة المسلمين، انبرى -معززاً بحجج إنجيلية- للدفاع عن أنّ ابن الله وكلمته هو نفسه الله الذي حَلَّ في جسد المسيح لأجل خلاص العالم والبشرية.

في «المنافحة» الثالثة تناول مسألة اتّباع المسيح ومريم العذراء والصليب والأيقونات. وأخيراً في الرابعة رفض جملة وتفصيلا تعاليم، محمد ونفى عنه صفة النبوة، كما نفى بالمرة ما يقوله المسلمون من أن عيسى تنبأ بظهور محمد في العهد الجديد، وأن اسمه مكتوب على يمين عرش الله، كما أنه رفض رفضاً باتاً أن يكون الإسلام هو دين إبراهيم.

أمّا الخطابات الأربعة ضد محمد فتتناول مسائل عملية تكشف معرفة المؤلف بالتعاليم الإسلامية: فالخطاب الأول يحمل في لهجة عنيفة وتهكمية على ادعاء محمد النبوة، وراح يقدح في شخصه ودينه الذي يرى أنه لا يعتمد على المعجزات بل على حد السيف، ثم يطرح مجموعة من الحجج الموجودة أصلاً في مؤلفات جدالية سابقة -وفي لغة ساخرة- يؤكد بها على إصابة محمد بمرض الصرع والذي كان الناس في زمانه يعدونه من عمل الشيطان، كما تناول الموضوعات التي توسع فيها بارتيلمي ديديس، والتي تزعم أن محمدا كانت تربطه علاقات مع الأريوسيين (أتباع آريوس) والنساطرة (أتباع المذهب نسطوروس) المبتدعين ثم جمع في قرآنه أباطيلهم وترهاتهم.

في الخطاب الثاني -وهو أطول- حمل على صفة النبوة عند محمد مجدداً، ورفض دعوى المسلمين القائلة بأن القرآن كلام الله الذي يعترف بالعهدين القديم والجديد، وفي معرض سرد حججه وبراهينه الداحضة، استعان بجملة من النصوص القرآنية زاعما تناقضاتها حول مواضيع عدة وتَهَافُتها الكبير. وكان أول ما حمل عليه في القرآن قوله بأنّ محمداً هو أعظم الأنبياء والرسل وخاتمهم، وأن الجنة هي بيوتٌ فسيحةٌ لم يَسبق أن رأتْها عينٌ، تجري من تحتها أنهارٌ وغاصّة عن آخرها بالحُور العين وأجمل الناس.

وفي الخطاب الثالث رد مجدداً التشكيك القرآني في ربوبية المسيح وتجسده وصلبه، والزعم القائل بأن السيدة العذراء هي أخت موسى وهارون، وادعاء المسلمين بأن عيسى سيظهر في آخر الزمان ليقتل الدجال قبل أن يموت ليبعث يوم القيامة.

وأخيراً، ينكر الخطاب الرابع -وهو جد مختصر- ما يعتقده المسلمون بخصوص عقيدة الإسراء والمعراج، ويذهب إلى أن القرآن ليس بالمرة الشريعة الإلهية التي أوحاها الله لمحمد، بدليل -وهذا موجود في القرآن نفسه- أنه لا أحد قادر على فهم آياته فهماً صحيحاً وعميقاً، فهذا الفهم موقوف على الله والله وحده.

يكشف اجتهاد الرجل في الرد على عقائد المسلمين معرفته العميقة بالإسلام، فشكل ومحتوى هذه الكتابات تقتبس الكثير مما كُتب في الكتب القديمة المتخصصة في الجدال حول أمور الدين، كما نجد فيها عناصر أخرى جديدة يغنيها نص لغوي (فقه اللغة) مهم لاتيني المصدر، والذي يستأنف الهجوم على الإسلام. يتعلق الأمر بمؤلف الراهب الدومينيكي في فلورانسا ريكولدو دامونتي كروس (1243/1320) بعنوان Libellus contra legem Sarracenorum(17). أقام ريكولدو خلال صيف 1288 في البقاع المقدسة، وزار معالمها المبجلة قبل أن يشد الرحال إلى شرق آسيا الصغرى ثم بغداد، حيث تعلم العربية، وانخرط في مناظرات دينية، واكتشف التعاليم القرآنية الأساسية، كل

هذه التجارب والمعارف مكنته من تأليف كتبه. وقد تَرجمت إلى الإغريقية ما بين 1354 و1360 على يد العلاّمة والحبر في اللاتينية ديمتريوس كيدونيس، فأغْنت الأدبيات الدينية البيزنطية المضادة للإسلام بعناصر وحجج جديدة(18). يستعينُ كانتاكوزين كثيراً بهذه الترجمة في تأليفاته ضد الإسلام وعقائده ودفاعه عن المسيحية؛ غير أن إحالته المتواترة على كتب ريكولدو لا يعني البتة أنه ينقل منها، فهو حريصٌ على التصريح بالمصادر التي يعتمدها؛ إذ ذكر منذ خطابه الأول حول محمد اسم ريكولدو وأثره(19).

وبمناسبة نشر «الحوار مع فارسي» للإمبراطور مانويل الثاني باليولوغ (/1391 1425) ، أعطى (طراب-E.Trapp) نظرة موجزة عن الكتابات البيزنطية الجدالية المضادة للإسلام وعقائده(20) , وحلل الصلات الموجودة بين المنافحات والخطابات الحاملة على محمد لكانتاكوزين، وأثر ريكولدو الذي ندين في قراءته لترجمة ديمتريوس كيدونيس. وهو بذلك قدم عملاً جدَّ مهمّ من خلال قيامه بجردٍ عامٍّ للاقتباسات المباشرة وغير المباشرة من ترجمة كيدونس(21) والتي قام بها كانتاكوزين. في المنافحات لم يشر (طراب) إلا إلى اقتباس جد بسيط من كتب ريكولدو كيدونس(22) علماً بأنه المصدر الرئيس الذي اعتمدته «خطاباته»، وتشكل مطارحات كبير أساقفة تيسالونيك (گريگوار پ الاماس) في 1354/1355 مع المسلمين لمّا كان أسيراً في القصر السلطاني ببروس ونيسي في بيتني مصدراً مهما آخر اعتمده كانتاكوزين.

گريگوار پالاماس:

أ - رسالة إلى كنيسة تيسالونيك.

ب- رسالة إلى مجهول.

ج- رسالة إلى الملاحدة.

(الحوارات) والمطارحات التي أجراها كبير أساقفة تيسالونيك سانت گريگوار پالاماس مع فقهاء مسلمين مرموقين عندما كان أسيراً لدى العثمانيين (1354/1355) في الشمال الغربي لآسية الصغرى بإقليم بيتني بالغة الأهمية، فالأمر يتعلق بشخصية كبيرة، وتحظى كتبه بمكانة مركزية في اللاهوت الشرقي، ما أضفى على حواراته الإسلامية أهمية خاصة، وانتبه إلى هذه الأهمية الباحثون الإغريق والأجانب المعاصرون.

گريگوار پالاماس (97/1269/1395) هو صديق جان كانتاكوزين وكبير أساقفة سالونيك ابتداءً من 1347 وهو أحد أكبر الكُتّاب وقادة الكنيسة الأرثوذكسية في القرن الرابع عشر. كَرّس الجزء الأكبر من أفكاره للدفاع عن اللاهوت الصوفي لعصره داخل الكنيسة الشرقية. ولد في قسطنطينة ودرس بها على يد تيودور ميتوشيتيس عميد جامعة ووزير أول والذي درسه فلسفة أرسطو وجدله، وقد كان مؤهَّلاً لشغل مناصب سامية غير أنه آثر تكريس نفسه لحياة الرهبنة والزهد وفضّل الخلوة بجبل أتوس الذي استُدعي منه ذات يوم لينصب كبير أساقفة تيسالونيك، ومعروف عنه انخراطه القوي في التقليد

اللاهوتي للكنيسة الشرقية، سيما من خلال دفاعه عن الحركة الهيسيشاستية في القرن الرابع عشر، ودحضه لآراء خصمي هذه الحركة بارلام دوكالابر وگريگوار أكيندينوس(23).

تمكن پ الاماس من خلال مؤلفاته من تجديد اللغة اللاهوتية لعصره وفتح آفاق أمام التفكير اللاهوتي عموما، غير أن الظروف التاريخية المصاحبة للسيطرة العثمانية طمست الرجل وأثره ولاهوته حتى النصف الثاني من القرن العشرين، وقد أعاد إليه الاهتمامُ الحالي باللاهوت الصوفي للكنيسة الشرقية مكانَتَهُ المركزية. فعلى امتداد الخمسين سنة الأخيرة، تراكمت بحوث غزيرة باليونان وغيرها حول هذه الشخصية المرموقة، كما أن مؤلفاته نشرت ضمن الإصدارات النقدية، وظهرت الكثير من الدراسات والتراجم حولها(24).

اهتم البحث الإغريقي والأوروبي الراهن بكتاباته اللاهوتية الغزيرة والمهمة فضلا عن حواراته (مطارحاته) الإسلامية، ولا يتعلق الأمر بسجالات ذهنية بل حوارات مباشرة مع ممثلين رسميين للديانة الإسلامية، ومع عامة المسلمين أيضا في فترة كان فيها پ الاماس أسيراً لدى العثمانيين، وكان بإمكان أقواله هناك أن تكون لها آثار خطيرة. كما أن البحث المعاصر اهتم بهذا الجانب الخاص من مؤلفات پ الاماس للنظر في الأسباب التي جعلت لاهوتياً مرموقاً يذهب بعيداً في مطارحاته المباشرة مع المسلمين.

نشر نصان للرجل يتضمنان نقاشاته مع المسلمين إبان أسره نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين: الأول في شكل رسالة مختصرة إلى مجهول أشار ناشرها السيد (ترو) عام 1889 إلى أنه الراهب داﷺيد ديسيپاطوس مضللا في ذلك بملاحظة على حاشية النص؛ لهذا السبب نشر النص في الأصل تحت عنوان «رسالة إلى داﷺيد ديسيپاطوس»(25) . والنص الثاني عبارة عن مقال مقتبس من نقاش عمومي بين پ الاماس وفقهاء مسلمين في قصر «الأمير الأعظم»، ونشر عام 1892 على يد ساكيليونوس(26). كما أن نشر الرسالة الموجهة منه بآسيا الصغرى -حيث كان أسيرا- إلى كنيسة سالونيك لأول مرة عام 1922 في المجلة الجديدة Hellénomnimon ولاتزال له أهمية خاصة جداً(27). وقد قام أنا فيليپيديس برات والأستاذ كريستو تحت إشراف فانورگ اكيس بنشر طبعة منقحة لهذه الرسالة والنصين الآخرين اللذين كتبهما أثناء فترة احتجازه كما سبق القول(28).

يستعرض پ الاماس الأحداث التي وقعت أثناء فترة أسره عند الأتراك والنقاشات التي جرت معهم في رسالته إلى سالونيك، تقول الرسالة بأنه وقع في الأسر في مارس 1354 عندما حل بقسنطينة قادما إليها من سالونيك بدعوةٍ من الإمبراطور جان الخامس (1341-1376) ، الذي كان يرغب بوساطة من أجل التصالح مع صهره جان VI كانتاكوزين(29). وقد وقع في الأسر هو ورفاقه عندما كان على متن السفينة التي نقلته إلى قسنطينة في كاليبولي، ثم قاده الأتراك إلى لامپساكوس، وبعدها إلى بياس، ثم إلى

پ روس فننيسي ببيتني. طلب منهم الأتراك فدية، ولأجل التعجيل بتسليمها عَرّضوهم لصنوف من الإذلال كالحرمان من الطعام والضرب وصنوف أخرى من الإذلال البدني(30), وتتناسب فدية كل أسير مع أهميته، ما جعل پالاماس يجد نفسه في موقف صعب، فحيثما حلوا -سواء في لامبساكوس أو في مدن أخرى نقلوا إليها- كان السكان المسيحيون يعبرون علانية عن تشبثهم وتبجيلهم للحِبر، ولما علم سليمان قائد العساكر العثمانية والابن الأكبر للأمير أورخان بذلك طلب فدية كبيرة جداً من پالاماس.

تكشف كتابات كانتاكوزين وحوارات غريغوار پالاماس ونصوص لاهوتيين آخرين عاشوا تلك الحقبة الاتصالات المباشرة واليومية والنقاشات الصاخبة حول مسائل دينية بالغة الحساسية عند المسيحيين والمسلمين، كما أن نصوص أَسْر پالاماس تمدنا بشهادات تاريخية قيمة عن الوضع الذي كان عليه المسيحيون والمسلمون، ونوع الحوارات التي جرت بين الطرفين. فآسيا الصغرى كانت برمتها تحت سيطرة القبائل التركية المسلمة ما أدى إلى تفكك التنظيم والتراتبية الكنسية، حتى أن پالاماس لم يصادف أبداً على طريقه أسقفا. اختلط المسيحيون بالأتراك والإدارة الكنسية كانت تدار من قبل مسيحيين لائكيين من اختيار الجماعة.

لم يكن لپالاماس علم باضطهاد الأتراك للنصارى، وكانت الطائفتان معاً متمسكتين أشد التمسك بمبادئ دينهما، وتتنافسان على تقديم الحجج والبراهين على تفوق هذا الدين أو ذاك. كان المسيحيون ينافحون عن عقيدتهم الديني؛ لكنهم يتساءلون عن أسباب تخلي الله عنهم، وتسليم أمرهم المسلمين. في حين كان المسلمون يعتقدون بأن انتصاراتهم العسكرية علامة على رضا الله، ويفخرون بتفوق دينهم، وقد شارك پالاماس في مثل هذه النقاشات بلامبساكوس. جموع غفيرة من المسيحيين تركض خلف الحبر فيهم الرجال والنساء والأطفال لأجل التعبير عن تعاطفها معه، والتبرك به، والحصول على إجابة شافية عن سبب تخلي الله عن الشعب المسيحي، أما المسلمون فيرون بأن أسر پالاماس وإخضاع الإغريق ما هو إلا دليل قاطع على رضا الله عنهم(31).

پ الاماس يرد بعصبية وغضب، ويقول: إن المسلمين ضالون ومغضوب عليهم، ولقد أخضعوا الناس بقوة السلاح لا بعون الله، ومع اعترافهم بأن السيد المسيح كلمه الله وروحه، ولدته مريم العذراء الطاهرة، وأنه كان يعرف بعض الغيبيات، وأنه رفع إلى السماء، وسيعود إلى الأرض ليحكمها(32). رغم كل ذلك فإنهم لا يمجدونه بصفته تلك أي ككلمة الله المجسدة، وبدلوا الحقيقة الإلهية بالكذب(33), واتبعوا رجلاً فانياً وميتا هو محمد بدل كلمة الله على الأرض الخالدة والأزلية(34).

كلام پ الاماس يكشف بجلاء التعارض الجذري الحاصل بين عالمين منقسمين، كما يميط للثام عن الواقع الصعب الذي يعيشه المسيحيون في الشرق، والذين باتوا يشكّون في عدالة السماء. أما پالاماس فيسعى جاهداً لرفْع معنوياتهم، وشد أزرهم من خلال إعطائهم تأويله الخاص لمسألة العناية الإلهية، فمن جملة ما يراه أن أسره من تجليات العناية

الإلهية؛ حتى يتمكن من نشر كلمة الله وإيصالها حتى إلى ما يراهم أشد بربرية من البرابرة وإنقاذهم من عقاب يوم الحساب. أما الوضع الصعب الذي يوجد فيه المسيحيون فيرى فيه ابتلاءً إلهياً يعلم المؤمنين بواسطة العقاب(35), وهذا التوجه نحو تأويل الأحداث بهذه الطريقة سيتقوى أكثر فأكثر خلال قرون السيطرة العثمانية كما أشار إلى ذلك -وبحق- الأستاذ أرگيريو(36),

ستتشكل هذه الفكرة المركزية للعناية الإلهية الواردة في النصوص البيزنطية أساس ما كتب في الأدبيات الغيبية ما بعد البيزنطية، وتسعى من خلال مفهوم الابتلاء الإلهي إلى إعطاء معنى ديني للآلام التي يكابدها الإغريق وشد عضدهم.

أخذ الأسى من لاميساكوس إلى پ.ييس، وتولى مافروزومي(37) إدارة شؤون الجالية الإغريقية في پ.ييس، واعتنى بالأسرى لمدة ثلاثة أشهر، غير أنه لم يتمكن من الحصول على الفدية المطلوبة الكفيلة بإطلاق سراحهم. حراسة الأسرى كانت نسْبيةً مخفَّفة، ووُضعوا تحت مراقبة قادة الجماعة المسيحية الذين حملوا مسؤولية أي اجتياح محتمل، وكلفوا بإطعامهم، فأعفوا بذلك السلطات العثمانية من هذه المهمة. ولأن الأسرى كانوا يتمتعون بحراسة مخففة فقد استفادوا من ذلك، فقد رخص مافروزومي لپ.الاماس بممارسة التلقين في الكنائس والتخفيف من معاناة المسيحيين على الأرض ومن معاناة رفاقه في الأسر(38).

بعد إقامة دامت ثلاثة أشهر في پ.ييس، اقتيد الأسرى فجأة إلى بروس التي تبعد عن المكان مسافة أربعة أيام مشيا على الأقدام، وُوضعوا تحت إمرة الأمير أورخان. في هذه المدينة وضع پ.الاماس مجددا نفسه في خدمة المسيحيين المحبطين، وما أن رأوا أسقفاً تطلعوا إلى رؤيته منذ وقت طويل حتى توافدوا زرافاتٍ ووحداناً للقائه طمعاً في مساعدتهم في حل العديد من المشكلات التي تشغل بالهم. بقي الأسرى يومين في بروس قبل أن ينقلوا بأمر من الأمير أورخان إلى بلدة جبلية جميلة يسكنها مسيحيون، وجعل فيها أورخان إقامته الصيفية، كما أن سفراء كانتاكوزين وصلوا إلى هذه البلدة لأجل التفاوض مع أورخان حول إعادة الأتراك للمدن التي احتلوها في طراس(39), وقد رفع لقاء الأسرى مع السفراء من معنويات الأوائل(40). يفترض كريستو اعتمادا على هامش كتبه المؤلف في حاشية 46 بأن الأمر يتعلق بالبلدة المسماة ماليجينا أو مالينا(41).

في هذه البلدة جرت أطوار أهم حوارين بين پ.الاماس والمسلمين: الحوار الأول مع إسماعيل حفيد أورخان، والحوار أو بالأحرى المطارحة الثانية مع علماء مسلمين في بلاط أورخان.

أ- جرى الحوار الأول في الهواء الطلق في مكان جميل الإقامة، وما إن نقل الأسرى إلى إقامة أورخان -وحتى قبل أن يقدموا إليه- حتى انتهز حفيده إسماعيل الفرصة -وهو الذي أوتي حظا من العلم، وكان مهتما بالأمور الدينية- لدعوة پ.الاماس إلى الغداء بعد أن عزله عن رفاقه، وكان قد سمع عنه الكثير، بعد جلوسهما على العشب برفقة آخرين قدمت

الفواكه لپالاماس الذي كان صائماً ولإسماعيل قَدّم اللحم.

المناقشة -التي تمت بالإغريقية لا محالة لعدم وجود ترجمان- تمركزت في البداية حول مسألتي الصوم والصدقة، ولما سمع إسماعيل وبارتياح پالاماس يقر بأن الصدقة من حب الله، ووحده من أحب الله الرحيم بعباده هو الرحيم الحق انتهز الفرصة ليطرح مسألة أساسية -لا- زالت حتى اليوم تحرك النقاش بين المسيحيين والمسلمين- وهي إن كان المسيحيون يعترفون ويحبون محمداً بصفته رسولاً- من عند الله أو لا-؟ بدا پالاماس متحفظا حول هذه النقطة وتفادى بذكاء الدخول في أي جدال حول شخص النبي محمد، وهو الموقف الذي تراجع عنه أثناء مناقشاته اللاحقة مع عموم المسلمين، اكتفى بإعطاء جواب محدود بقوله: «من لا يعتقد في كلام شيخه لن يحبه أبدا بصفته شيخه (أو معلمه)»، فسأله إسماعيل: كيف يمكن للمسيحيين أن يعبدوا إلهاً مصلوباً وأن يسجدوا أمام الصليب؟ وبعد أن استعرض پالاماس مجمل التصورات اللاهوتية حول الصليب والولع بالسيد المسيح، وأن هذا الأخير تألم تلقائياً بصفته بشراً غير أن طبيعته الإلهية لم يطلها ألم ولا أذى، ضحك إسماعيل من اعتقاد المسيحيين بأن لله زوجة ماداموا يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن له ابناً. وكان رد پالاماس عنيفاً، وسعى جاهداً إلى أن يكشف للأمير الشاب ما يراه تناقضات وأخطاء يقع فيها المسلمون الأتراك: فمن جهة تجدهم يقرون بأن المسيح هو كلمة الله وابن السيدة العذراء، ومن جهة أخرى تجدهم عاجزين عن فهم اللغز المحير لعقيدة التثليث والكلمة المولودة منذ الأزل، فجأة توقف النقاش عندما هطلت أمطار قوية، أطلق إسماعيل ساقيه للريح وعاد پالاماس إلى رفاقه الأسرى الذين كانوا يقيمون بمخيم في الهواء الطلق.

ب- تحاور پالاماس مع ثلة من علماء مسلمين في القصر السلطاني، وكان هذا الحوار أكثر أهمية، فالسلطان نفسه هو من تولى تنظيم هذا الحوار بعدما سمعه من طبيبه الخاص عن شخص پالاماس، وطبيبه مسيحي يدعى طارونيتيس، جلب هذا الطبيب من نيسي حيث يقيم لعلاج أورخان الذي كان يعاني من مرض في الكبد، كان رجلاً ورعاً وقد اهتم بمصير هؤلاء الأسرى وكان يعالجهم. وعندما وجد پالاماس متعبا منهوكا تدخل لدى الأمير لينقل إلى دير سانت جاسنيث(42). قبل ذلك جرت أطوار حوار نظمه السلطان في محل إقامته الصيفية بين پالاماس وجماعة من علماء الدين، وقد كانوا قبل دخولهم يهودا ويلقبون بشيونيس(43).

خطاب پالاماس إلى جماعة الشيونيس:

المطارحة بين گريگوار والشيونيس كان بمبادرة من الأمير أورخان، وجرت أطوارها في إقامته الصيفية في مشهد خلاب من التلال في نيسي.

كان مقرراً أن يشارك أورخان في المطارحة غير أن الشيونيس توجسوا خوفاً من أن يتطارحوا في حضرة السلطان مع لاهوتي حاذق وحبر من طينة پالاماس، فعين أورخان مجموعة من الشخصيات تحت إمرة قائد جيوشه پالايانوس(44) ليمثلوه في المجلس.

غير الطبيب طارونيتيس الذي كان حاضراً المطارحة بكاملها(45).

دار النقاش حول موضوعات معروفة جداً في زمن پ الاماس بحكم انتشار واستيلاء الأتراك المسلمين على أراضي يقطنها مسيحيون، وتزايد الاحتكاكات والنزاعات جراء ذلك، وكان ينظر إليها على أنها موضوعات راهنة وذات فائدة آنية. وإذا كان الطرفان معا يعبران عن معارضة حادة لمثل هذه الموضوعات فإن هذه المعارضة سرعان ما خفت وطأتها بالنظر إلى الفائدة الفعلية التي ستعكسها على الأسس والتلقين اللاهوتي لدين الآخر. افتتح النقاش بمدى صحة معطيات الوحي المتضمنة في الإنجيل والقرآن، وحول الأنبياء والنبوة، وحول قضايا أخلاقية وتعبدية أخرى، كل طرف يرد مزاعم الطرف الآخر، ويتطلع إلى المزيد لتعميق معارفه.

افتتح النقاش مع الشيونيس بقضايا الإيمان؛ يعتقد هؤلاء بأن أسس الإيمان عندهم قائمة على شريعة موسى التي يحترمها الترك، ما جعلهم بدورهم يعتنقون الإسلام ليصيروا تُركاً مسلمين(46) , بعد ذلك دعوا پ الاماس إلى الحديث عن إيمانه وعقيدته المسيحيين، فالمسلمون يعلقون أهمية خاصة على هذا الجانب في النقاش؛ لأنه يتضمن الجوانب الغامضة والمشوشة في اللاهوت المسيحي التثليثي بالأساس، فغالباً ما يتهمون المسيحيين بالشرك؛ لأنهم يجدون صعوبة في استيعاب الثالوث المقدس في العقيدة المسيحية والابن المولود منذ الأزل وتجسد السيد المسيح، فالمسلمون يرون المسيح واحداً من كبار الأنبياء لا غير، ولا ينسبون إليه أي صفة إلهية مزعومة، رافضين بذلك رفضاً كلياً عقيدة التثليث. أما العقيدة المسيحية فترى بأن المسيح -بصفته كلمة الله- هو الشخص الثاني في الثالوث المقدس وهو الرب أيضا، الرب الأوحد الخالد المبعوث إلى الأرض في وقت ما. وهو أيضا الرب الخالد المنزه وفي الوقت نفسه يصير بشراً له طبيعة بشرية يبجّلها. المسيح عند المسلمين إنسان وليس إلهاً. فالإله لا هو والد ولا هو مولود، كما أن المسيح يستحيل أن يصلب؛ لأن الله قادر على إنقاذ الناس بطرق أخرى غير طريقة الصلب والتجسيم(47).

هذه عينة من الإشكالات التي طُرحت على أنظار پ الاماس ليجيب عنها، وقد انطلق في حديثه من المعتقدات الإسلامية نفسها التي تقر بأن المسيح هو كلمة الله وروح الله(48). فالمسيح في الإسلام هو كلمة الله وكلامه، وكلام الله هو من خلق الله بمقتضى القاعدة القرآنية: كن فيكون، وبالتالي ليس كلمة أي رمزاً للإيمان بصفته الشخص الثاني في الثالوث المقدس، والذي يشترك في الكينونة والخلود مع الإله/الأب المزعوم(49).

استعرض پ الاماس وجهة نظره بطريقة منهجية، فبدأ بالقول بأنه يعتقد كما يعتقد المسلمون بأن الله وحده موجود، لا بداية له ولا نهاية، منذ الأزل، لا يتبدل ولا يتغير وغير قابل للقسمة ولا حد له. بالمقابل، كل خلق يفسد ويتغير ويستمد وجوده من العدم بإرادة من الله. وحده الله الواحد الأحد لا بداية له، له كلام/عقل وله حكمة(50). فالحكمة مقرها العقل وبلا عقل لا حكمة. فإذا افترضنا أن ثمة زماناً لا وجود فيه لعقل ولا لحكمة إلهيين، فثمة

زمان إذن كان فيهما الله دون عقل ولا حكمة، وهو قول مردود؛ لما فيه من كفر واستحالة. فإذا كان الله بلا- بداية فعقله وحكمته أيضا بلا نهاية وهو وهما لا ينفصلان، قائم بهما وقائمان به، كذلك الروح؛ ذلك أن العقل لا ينفصل عن الروح(51).

فإذا كان المسلمون يقرون بأن عيسى كلام الله وروحه فإنهم يقرون بذلك بأن الروح والكلام قائمان به غير مخلوقين ولا منفصلين عن الذات الإلهية فهما عين الذات، أما إن قيل نقيض ذلك، فمعناه أن الله بلا عقل ولا روح أي ماهية بلا حياة، وإن كان ذلك كذلك، فليس ثمة زمان كان فيه الله مجرداً من عقل ومن روحٍ. وعليه فإنّ كلمته وروحه هما العنصران الآخران في عقيدة التثليث (الثالوث المقدس)؛ حيث العناصر الثلاثة كلها إله حق؛ لأنّ الواحد ثلاثة والثلاثة واحد. فمثلما أنّ وَهَجَ الشمس من الشمس وأشعة الشمس من وهجها فإن الوهج والشمس والأشعة كل لا- ينفصل ولن ينفصل أبداً، كذلك الكلمة وروحُ القُدُس والرب. فكما أننا نُسَمّي الشمس بوهجها وأشعتها فإننا لا نقصد في الحقيقة إلا شيئاً واحداً، كذلك عند حديثنا عن الكلام وروح القدس فإننا لا نقصد إلا الله الواحد الأحد الذي لا بداية له، وموجود منذ الأزل مع الكلام والروح بلا بداية تسبقهما ولا نهاية تعقبهما(52).

وحيث إنه أدرك بأنه في حضرةُ ثلّة من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام فقد ذكر بأن سر التثليث الرباني ليس فقط من التعاليم المسيحية؛ بل من تعاليم موسى الذي يؤمنون بنبوته ورسالته، فموسى يعلمُ الناسَ «بأن الرَبَّ واحد أحدٌ»(53) , ويسمى الله ثلاث مرات، مرتان سماه الرب/السيد ومرة سَمّاه الإله/الله، وقد فعل ذلك عمداً ليبيّن أنّ الثلاثة هم الله والله هو الثلاثة، لا فرق. أراد موسى بيان أن لله كلاماً وروحاً، وأنه واحد أحد وخالق كل شيء، قال: وقال الله: فليكن النور! فكان النور، وقال داوود أيضا: قال الله، فكان ما قال. تبين هذه العبارة أن لله كلاما-فلا يمكن التفكير فيه دون كلمة- عقل (لوغوس)- ومن عقله الكلي (لوغوس) فاضت كل الموجودات. كلام الله هذا موجود منذ الأزل قبل كل المخلوقات، إنه غير مخلوق، فكلام الله هو الله ما دام أن الله وحده غير مخلوقٍ لخالق(54).

بهذه العبارات استعرض پ‌الاماس الموقف المسيحي من عقيدة التثليث، وقد انتقى كلمات مفهومة لدى المسلمين، فتحدث بادئ ذي بدء عن الله الواحد الأحد الحي والخالد، الذي ليس بلا- ذات بل له ذات. ولذلك فالله له كلامٌ وله روحٌ كما يعتقد المسلمون أيضاً بذلك، وإلاّ فإن الله سيكونُ بلا كلام ولا رُوحٍ وبلا ذاتٍ، وهو ما يتعارض مع الوحدانية. بالمقابل، فالسيد المسيح -الذي هو كلمة الله كما يعتقد المسلمون بذلك أيضا- هو كلمة الخلود الإلهي الخالقة للبشر. هكذا رد پ‌الاماس على الاعتراض الذي وجهه إليه معارضوه من المتحاورين معه، والقائل باستحالة «تسمية الرب بالمسيح؛ لأنّ المسيح بشر ابن بشر».

وردا على سؤال كيف يمكن أن يتحول الرب إلى بشر وما مبرر التجسيم؟ ألن يكون باستطاعة الرب إنقاذ الإنسان بطريقة أخرى؟ أجاب پ‌الاماس اعتماداً على شرح أحبار

الكنيسة للإنجيل الذي يعرفه المسلمون من خلال الإحالات القرآنية، بأن الله خلق الإنسان وزوده بالعقل والقدرة على التمييز ليحيا ويأتي الأفعال الصالحة، وفقاً للتعاليم الإلهية، وأوامره ونواهيه. غير أن الإنسان الحر في اختياره تعدى حدود الله، وعصى أوامره، فسلم نفسه للشيطان، فاستحق بذلك الموت؛ غير أن مشيئة الله قضت ألا يترك للموت وفي قبضة الشيطان. وبما أن الرب لم يشأ أن يزيل بالقوة قدرة التمييز عند الإنسان (العقل) وتخليصهم بقدرته القادرة لما في ذلك من تعارض واضح لكون الرب لا يعدم ما خلق، فقد كان من الضروري أن يحل في إنسان ويحيا بلا معاصي ولا خطايا حتى يساعد الإنسان الذي يعصي بمحض إرادته(55), وبما أنه لا يوجد ثمة بشر دون خطيئة حتى ولو عاش ليوم واحد(56) ؛ فإن «كلمة الله الوحيدة والمعصومة من الخطيئة مجسدة في ابنِ لبشرٍ وَلدَتْهُ العذراء، وعاش كالناس وبينهم، غير أنه لا يقترف خطايا مثلهم، ولا تقع على عاتقه مسؤولية كتلك التي تقع على عاتق عموم البشر، لذلك تعذب حتى الموت من أجل خلاص بني البشر، كما أنه نزل إلى مهاوي الجحيم لينقذ المؤمنين».

كيف يُعقل أن يولد الربُّ ويُضمُّهُ رَحمُ امرأة؟ بدءًا، المسلمون يعتقدون أن الكلمة هي إحدى المخلوقات الأزلية للرب؛ لكنهم لا يؤمنون بأن عيسى هو كلمة الرب الخالدة؛ بل هو الكلمة التي خلقتها المشيئة الربانية الأزلية(57), «أراد الله فكان ما أراد». يثير پ‌الاماس تناقُضاً في رأْي المسلمين بهذه النقطة؛ إذ كيف يُعقلُ أن تكون مشيئةٌ (لوغوس) لمشيئة ثالثة؟ هذا لا يحتمل إلا معنىً واحداً هو أن المشيئة الربانية ليست خالدة، وليست بلا بداية؛ أي أنها غير متزامنة مع الذات الإلهية.

لكن إذا قبل المسلمون أن يكون المسيح كلمة الله وروحه، فعليهم من باب التبعية أن يقبلوا أيضاً أنه كلمةُ الله التي لا بداية لها، فإذا أقررْنا أنّ المسيح ليس خالداً وكلمةُ الله هي الخالدة (قال الله فكان المسيح كلامه)؛ فمن الواجب الإقرار بأن كل أشياء هذا العالم -الحجر والنبات والأفاعي...إلخ- هي كلمة الله وروحه ما دام أنه «قال فكانت».

أما فيما يتعلق بالتجسيد أو الحلول للغز تجسيد الكلمة فيتعين الإقرار بأن الكلمة خالدة خلود الرب، وبواسطتها خلق الرب كل الخلائق في الزمان(58), معنى ذلك أن الأمر يتعلق بالكلمة قبل أن تتجسد -أن تحل في جسد- وبعد ذلك صارت الكلمة التي لم تتجسم بعدُ مجسَّمة لنا من خلال الطبيعة البشرية.

مسألةٌ أخرى تشغلُ بالَ المسلمين وهي إذا كان المسيحيون يبجلون ويعظمون المسيح، فلماذا يرفضون النبي محمداً ولا- يؤمنون بنبوته؟ طرح المحاورون لپ‌الاماس هذا السؤال عليه في ثلاث مطارحات: الأولى مع الشاب إسماعيل، والثانية مع اليهود الذين أسلموا (الشيونيس)، والثالثة مع إمام (تاسيمانيس) يرافقه مسلمون عادوا لتوِّهم من جنازة، وكان جوابه هو نفسه في المناسبات الثلاث:

من لا يؤمن بكلام شيخه (سيده) لن يحب هذا الشيخ. قبل أن يضيف: قال الرب: إنه سيعود ليحكم العالم وألا نؤمن بأحد غيره قبل عودته.

طرح الأتراك واليهود الذين أسلموا على پ‌الاماس موضوع الختان واستفسروه عن رأيه فيه، فإن كان المسيح قد خُتن -كما يقول بذلك العهد القديم- فلماذا يحجم النصارى عن ختان أنفسهم؟ ولأن پ الاماس يعرف أن محاوريه من الشيونيس كانوا يهودا قبل أن يسلموا فقد كان هجومياً في رده، فما دام اليهود يستشهدون بأحكام العهد القديم المنزل عليهم فهم أعرف من غيرهم بأن الله فرض عليهم مجموعة الأوامر والشعائر التعبدية يوم السبت وفي عيد الفصح اليهودي فلماذا لا يطبقونها؟ أما فيما يخص التغيير الذي مس الختان، فالسيد المسيح نفسه هو الذي أمر به، كما اعترف الأنبياء بذلك صراحة(59).

وهناك خلافٌ آخر بين المسلمين والمسيحيين جعل الأوائل يتهمون الآخرين بالشرك ويتمثل في عبادتهم للأيقونات وتعظيمهم للصليب.

سئل پ الاماس عن هذه النقطة بالقول: لماذا يصنع النصارى الأيقونات ويضعونها في كنائسهم، والحال أن الله حَرّم على لسان موسى كُلَّ الصُوَر؟ الخلافُ حول الصُوَر يواجِهُهُ النصارى بعدد من الحجج القائلة بجوازها؛ لكنّ پ‌الاماس اكتفى بالقول: إن أصدقاءهُ من بني البشر أنفسهم ينحنون إجلالاً بعضهم لبعض دون أن تأليه، وبالمثل فالنصارى يعظمون الربَّ بهذه الطريقة(60).

رغم بعض لحظات الهزل والانفعال التي تخللت حوار پ الاماس مع الشيونيس عند الخوض في بعض القضايا الخلافية إلا أنه انتهى بهدوء، فمحاوروه أبدوا موافقتهم على العديد من مسائله بالقول: «صحيح ما تقوله»، «الحق ما تقوله ونحن معك»(61), «صحيح، ذلك ما حصل». في الأخير، «قام الأسياد والأتراك وحيوا باحترام كبير محاورهم»(62), واحد من اليهود الذين أسلموا هو الذي اعتدى عليه بالضرب، وهو ما استنكره الحضور وتأسف له الأتراك فقدَّموا الفاعل إلى الأمير.

عندما انتهت المناقشات مع العلماء المسلمين في دارة أورخان، نقل پ‌الاماس إلى المدينة التاريخية نيسي، وبفضل الطبيب طورنتيس خصص له استقبال في دير القديس جاسنيث، وهو المركز الروحي الأهم في ذلك العصر بالنسبة للطائفة المسيحية(63) . في هذه المدينة، أتيحت لپ الاماس الفرصة ليتحاور مجدداً مع مسلمي المدينة وعلمائهم حول قضايا هامة. وبما أن العثمانيين كلفوا رهبان الدير بحراسته فقد استغل الفرصة ليتجول بكامل الحرية في المدينة، فما إن وصل إليها في اليوم التالي حتى خرج مع فوتيوس لاكتشافها. وبعد زيارتهما للمواقع المهمة خرجا من بابها وحضرا مراسيم جنازة شاركهم فيها جمهورٌ غفير يؤمهم إمام يسميه پ‌الاماس تاسيمانيس، عند نهاية المراسيم، اقترب منه پ الاماس بمعية ثلة من حواريه وتوقفوا في طريق عودتهم في مكان ظليل قرب باب المدينة بجانب مجموعةٍ من المسيحيين هروباً من الشمس الحارقة لشهر يوليو. جلس پ‌الاماس مع الإمام واستعان بالترجمان ليثني عليه لما أظهره من مشاعر العطف والمواساة بمعية المؤمنين في صلاتهم على الميت، وطلب منه توضيحاً عن مضمون الدعوات التي يتم التوجه بها إلى الله في هذه المناسبة، فأجاب الإمام بأنهم يدعون للميت

بالتوبة والمغفرة والصفح عن خطاياه(64).

وبعد أن أثنى پ الاماس على هذه الدعوات وجدها فرصة سانحة للحديث عن العودة الثانية للمسيح (التي يؤمن بها المسلمون أيضا)(65) ليحكم البشرية، وأشار إلى ألوهيته بحسبانه كلمة الله الفطرية وغير قابلة للقسمة. ولدعم هذه الفكرة، جدد عرضه لرأيه في الموضوع الذي أسهب فيه سابقاً مع الشيونيس، ومؤداه أن الرب ما كان أبداً بلا كلام/عقل وبلا- كلمة فطرية. واستشهد الإمام بالآراء الإسلامية التي تقول بأن المسيح هو خادم الرب(66), ثم راح پالاماس يشرح كيف أن أنبياء العهد القديم -خصوصاً إبراهيم الذي يعدّه المسلمون جدهم الأول(67)- تنبأوا بأن عيسى سيكون ابن الله. وبينما تجمع عدد كبير من المسلمين والمسيحيين وتابعوا باهتمام النقاش الدائر ظهرت على الإمام علامات الحرج، وظل صامتاً إلى أن طرح على كبير الأساقفة هذا السؤال: إذا كان المسلمون يؤمنون بكل الأنبياء والرسل بما فيهم السيد المسيح والكتب السماوية الأربعة(68) فلماذا يحجم النصارى عن الإيمان بمحمد وبقرآنه الذي هو أيضا وحي من الله؟ فأجاب پالاماس على غرار المجادلين الآخرين من إغريق ومسيحيين بما يلي: طبقا للشريعة، فلا إيمان بشيء تعوزه البراهين، براهين الكتب أو أفعال شخص أو شهود ثقات. هكذا آمن أهل مصر بموسى الذي أتاهم «بعلامات وآيات»(69) فشق البحر بعصاه، وأعاده إلى سيرته الأولى(70), وأمطر الخبز من السماء(71) وقام بأعمال أخرى وأخرى يصعب حصرها، كما أن المسلمين يؤمنون بالنبي موسى ويعدونه من المؤمنين بالله، فالله عدّه أيضاً مؤمناً صادقاً ولم يعده ابناً للرب وكلمته كما هو حال المسيح. فالمسيح صدرت منه معجزاتٌ عظيمةٌ ذكرها موسى ورسل آخرون، والمسلمون أنفسهم يقرون بأنه كلمة الله الخالدة، أما «محمد فلم يأت على ذكره نبي، ولم تكن له معجزة حتى نؤمن به، لذلك لا- نؤمن به ولا بكتابه»(72).

واجه الإمام هذه الدلائل بما ورد في القرآن من أن الإنجيل تنبأ بمجيء محمد، وأن عيسى نفسه تنبأ بذلك، غير أن النصارى حذفوا وحرفوا الكثير في كتابهم(73), ثم إن ما حققه محمد من انتصارات في مشارق الأرض ومغاربها هي كلها بعون الله وتوفيقه(74).

نفى پالاماس نفياً باتاً أن يكون الإنجيل قد حرف؛ لأنه كلام الله الذي أوحى به المسيح، وترجمته إلى لغات كثيرة دليل آخر على ضعف الرأي القائل بتحريفه، فقد ذكر النبي موسى السيد المسيح، وذكر معجزاته وخوارقه، وذكره رسل آخرون ومؤمنون من ديانات مختلفة وحتى هراطقة ومبتدعة. ليس هناك ما يؤكد مزاعم المسلمين في الإنجيل حيث تنبأ كل الرسل الذين خصهم الله بالوحي بما سيحدث، بالغيب. فلو أتى الإنجيل على ذكر محمد بالاسم لوجدناه أيضاً مذكوراً على لسان رسل آخرين، المذكور هو أنه «سيظهر أنبياء كذابون وسط جموع من الناس وسيضلون الكثير منهم»(75).

فالمستند الأساس في حجة پالاماس هو أن عدم اشتهار محمد بآيات وخوارق، هذا دليل على أنه ليس رسولاً- وأن القرآن ليس كتاباً منزلاً-. أما فيما يخص اعتزاز المسلمين

بانتصارات محمد شرقاً وغرباً فيرد عليها بالقول: إن الانتشار الكبير للإسلام ليس على الإطلاق دليلا على نصرة الله. بالعكس، فدين محمد انتشر شرقاً وغرباً بالحروب وحد السيف وبالنهب والاستعباد الذي مارسه على الذين هزمهم وبالمجازر التي قام بها هنا وهناك. فمثلما انطلق الإسكندر من الغرب ليغزو الشرق فإن قادة عسكريين آخرين فعلوا الشيء نفسه، وفرضوا أنفسهم على العالم في فترات تاريخية متباينة؛ لكن الشعوب تهبهم روحها كما فعل المسلمون مع محمد. أكثر من ذلك، فمحمد الذي ووعد المحاربين معه بالجنان والخيرات لم ينجح في فرض دينه بالكامل على أي بقعة بالعالم. أما المسيحية التي ترفض العنف وتزهد في المتع الحسية فقد تجاوب معها وكسبت الحرب مع العنف الذي مورس عليها بالخير والحب. هذا ما جعل «الانتصار يهزم العالم»(76). بهذه الطريقة في الرد سعى پالاماس إلى التقليل من قوة الإسلام، والجواب -ولو بشكل غير مباشر- عن مشكلة الربوبية (العناية الربانية) التي يعيشها بحرقة المسيحيون الذين أخضعهم العثمانيون في آسيا الصغرى.

زادت حدة النقاش بعدما تبين أن پالاماس تجاوز الحدود التي يسمح بها المسلمون وبدأوا يستشيطون غضباً، وأشار المسيحيون إلى پالاماس بأن يغير الموضوع ويخفض صوته، استأنف الحديث بلطف ولياقة بعد أن ابتسم لمحاوريه، وقال بأنه لو كان العالم متفقا على كل المسائل فلن يكون هناك إلا المؤمنون بدين واحد، فرد عليه مسلم بعبارة متفائلة حين قال: سيأتي يوم تزول فيه كل أسباب الخلاف بين المسلمين والمسيحيين. وافقه پالاماس الرأي راجياً من الله أن يكون هذا اليوم قريبا جدا، واستحضر ما قاله القديس بولس: «إلى أن تركع كل ركبة، ويردد كل لسان أن الرب هو عيسى المسيح والمجد للرب الأب»(77).

هكذا انتهت المناقشة؛ بينما أنهى پالاماس رسالته إلى كنيسة تيسالونيك بدعواته ونصائحه.

انطلاقا من الحوارات التي خاضها پالاماس وبشكل عام من المقالات البيزنطية حول الإسلام يظهر أن النقاشات بين الطرفين يحركها بالدرجة الأولى الفضول المتبادل لمعرفة عقيدة الآخر، حتى وإن كانت تنطلق من تهجمات على الدين المغاير وليس من الدلائل الدالة على صحة هذا الدين أو ذاك. فگريگوار پالاماس ورفاقه الأسرى -كما قلنا أعلاه- كانا تحت المراقبة الدائمة من قبل العثمانيين أثناء تنقلهم، إلا إذا حطوا الرحال في مدينة يوضعون فيها في ذمة المسيحيين الذين يتكلفون بالاعتناء بهم والبحث عن الفديات المطلوبة للإفراج عنهم. وبذلك أتيحت لهم الفرصة للإقامة لبعض الوقت بين ظهراني المسيحيين والإغريق، كما أن پالاماس عندما يتنقل بمعية الحراس الأتراك فإنه يخوض معهم في حوارات مهمة: «لو كان لدي الوقت لأدون الأسئلة التي طرحوها علي وأجوبتي التي أبدوا موافقتهم عليها، وعموماً كل النقاشات التي أثرناه معا ونحن نتنقل؛ لكان ذلك أمراً ممتعاً للأذن المسيحية»(78).

تواصلت النقاشات والمطارحات من هذا النوع بين مسلمين ومسيحيين حتى نهاية عهد الإمبراطورية البيزنطية، واستأنف طيلة عهد الإمبراطورية العثمانية بطريقة دفاعية أكثر.

****

الحواشي:

*) نُشرت الحلقة الأولى من هذا المقال مترجمةً في التسامح.

**) باحثة وأكاديمية من اليونان.

1) يراجع ديميتريوس كيدونيس، ص965BC ،154 يصف الوضع الصعب للإمبراطورية لأجل تقديم النصح للبيزنطيين وشد أزرهم، كتب في وقت كان فيه جان پاليلولوغ قد حل بروما: (النص بالإغريقي) والاقتباس ص968/968 ،154 أعاد نشرها □اكالو پ ولوس دانس: مصادر تاريخ الهلنستية الجديدة، تسالونيك، 1965، ص91/93.

2) جوانيس كانتاكوزين: ضد الدين المحمدي IV، ص584 a ،372 a ،154ب وكذلك ضد دعوة محمد، ص584 ،154 ب، 692ج.

3) د- م نيكول ألف ترجمة مهمة عن أسرة كانتاكوزين بعنوان:

The Byzantine family of kantakouzenos, 1100/1460 A Genealogical and prospographical Studie (Dumbartin Oaks Studies, Vol 11), Washington D.C, 1968.

4) في العقود الثلاثة الأخيرة اهتمت ثلة من المؤرخين الإغريق بالحرب الأهلية وأسبابها:

- C.P Cyrris, The causes of the dichotomy of the imperial institution in the Byzantine Empire during the Period 1341/1354. 1971.
- C.P Kyrris (Sic), Continuity and Differentiation in the Regime establisched by Andronicus III after this Victory of 23/24, V-1328 1977/78.
- A Laioui Economic Pressures and the conflicts in the Fourteenth Century, Malibu 1985.

5) الخلافات التي ظهرت أثناء الحرب الأهلية الثانية (1341/1347) بين الزيلوطيين والنبلاء وصفها الإغريقي البيزنطي المقيم بمريكاپ كارانيس في مؤلفه: Variorum Reprints, London, 1973, p. 108/230 فيما يخص الزيلوطيين يراجع: -

سيريس: حكام ومحكومون في بيزنطة إبان ثورة الزيلوط (1341/1350) في حكام ومحكومون، الجزء الثاني: التاريخ القديم وفجر العصر الوسيط، بروكسيل، 1968، ص271/330. وهناك تأملات لها طابع أدبي في جنس الروايات التاريخية بقلم الأستاذ في جامعة أرسطو بتسالونيك: ن-أ ماتيوكاس.

6) حول هذه المجادلات في القرن 14 بتسالونيك، أنجزت كلية اللاهوت في جامعة أرسطو بتسالونيك بحوثاً مهمة في العقود الأربعة الأخيرة. يراجع حولها (الجزء الأول): دراسة حول أعمال گريگوار، واشنطن، 1983.

7) حول العلاقات بين كانتاكوزين وأمراء آسية الصغرى، يراجع: - پ لوميرل: إمارة إيدن، بيزنطة والغرب، باريس 1957 وكذلك: - وارنير: يوهانس كانتاكوزين، عمر باشا ورشان: بيزانتينوسلافيكا، (1965)، ص255/276.

8) يراجع:

- Ioannis cantacuzeni: Historiarum Libri IV, PG- 154.

يبدو التاريخ في هيئة ذواكر (ج. ذاكرة)، ويتناول أحداث سنوات 1320/1350. في هذا الكتاب سعى كانتكوزين جاهدا لتبرير وتفسير سلوكه دون تزييف للوقائع، وهو يمدنا بالعديد من المعطيات الدقيقة هي بمثابة مصدر ثري لمعلومات قيمة فيما له صلة بموضوعات بعينها، غير أن تأويله للأحداث يبقى موغلا في الذاتية. إنه سياسي مجرب، يعرض بوضوح وبأسلوب خاص الأحداث الواقعة والوثائق وملاحظاته الشخصية طارحا أمام القارئ معلومات هامة وجد غزيرة، أعماله التاريخية لها أهمية وقيمة كبرى سواء بصفتها مرجعا تاريخيا أو لجهة قيمتها الأدبية تتناول أعماله اللاهوتية مسألة الدفاع عن الحركة الهيسيشاتية ولاهوت پالاماس. عموما كل مؤلفاته -بما فيها تلك التي خصصها لنقض الإسلام- لها طابع سجالي وجدالي، سعى فيها جاهداً للتصدي للمخاطر التي تتهدد الأرثوذكسية.

1- النصوص الجدالية الناقضة لبروشور سيدونيس هي مساهمة قيمة منه لمناضرة لاهوت گريگوار پالاماس , فـپروشور كان راهبا في جبل أتوس بدير لا-□رى الكبرى ومناهضاً للهيسيشازمية، يراجع «مقال سيدونيس بروشور» في الموسوعة الدينية والأخلاقية 1079/1081، VII.

- H.G. Kirchliche und theologische litteratur im byzantinischen Reich, p. 737/739.

وراجع أيضاً:

"Ioannis cantacuzenis Refutationes Duae Prochori Cydonii et Disputatio cum Panto Patriarcha Latino Epistulis Septem Tradita,

Nune primum éditae curantibus".

2 - سجالات مع جان كيباريسيوتيس: إسحاق أكيروس وآخرون، مذكورة في مشكلات بيزنطة داخلية.

وراجع:

- D.J Geanakoplos : "Some Aspects of the influence of the Byzantine Maximus the confessor on the Theology". Churche History 38 (1969), p 150/163.

9) ص/A372-A584، 154.

10) ص/C 692، B 584، 154.

11) عن ضعف الاهتمام الذي خصت به أعمال كانتاكوزين راجع:

- G. Podakalsky : "Orthidoxe und westiche Theologie".

في:

- XIV internationalen Byzantinistenkogress Alten.

12) ومع ذلك هناك غياب في التراجم الكاملة والأهم من بينها المدونة حتى الآن هي:

- Johannes Kantakouzenos – Aritokrat, Staatsmann, Kaiser und Mönch in Bysanz im 14, Jahrhundert

وفي الإغريقية، انحصرت البحوث في بعض جوانب أعمال كانتاكوزين من جانب سيريس وكيريس وليو كما ذكر فوق.

13) يتحدر ميليتيوس سيرغوس (1586/1664) من هيراكليون (في عصر كانديا) بكريت. درس المنطق بالبندقية والطب والطبيعيات في بادوا. استقر في دير تيوتوكوس يسويي بالقسطنطينية يزاول الوعظ والتدريس في كنيسة المسيح الكبرى. في 1635 ترجم في جاسي بمولدا□يا إلى الإغريقية المبسطة كما أهدى لصديقه □يو□ود فاسيل لوبو كتاب المنافحات والخطابات الناقضة لمحمد لصاحبه كانتاكوزين. نجد هذه الترجمة في المخطوطات التالية: باريسينوس غريغوس 1253 A ، مارسيانوس غريغوس أبونديسII، كوديسي أطوس 2573، ولورا وأنسيرانوس موزي.

14) نجد عند □وردكرز لائحة شبه كاملة لمخطوطات المنافحات والخطب الناقضة لمحمد في أطروحته للدكتوراه غير المنشورة.

15) شدد سيروس ريونيس على القيمة الموجودة في منافحات كانتاكوزين الرامية إلى تعزيز الثقة بالنفس والحفاظ على الإيمان المسيحي في كتابه:

- The Decline of medieval Helleniam in Asia Minor and the process of islamization from the Eleventh through the Fifteenth century, University of california, Press, Berckley, Los Angeles, Londres 1971.

ترجم هذا الكتاب إلى الإغريقية من قبل المؤسسة الثقافية للبنك القومي اليوناني، أثينا، 1996، ص388-376. يراجع:

- «Byzantine Attitudes towards Islam during the Late Middle Ages».

16) كان تيودور ييبليا ندر ورودولف گواتر شخصيتين بارزتين في زيوريخ في عصر الإصلاح. فالتهديد التركي الذي بدأ يتأكد في أوروبا مع حصار ييينا عام 1529 على يد سليمان (1520/1566) شد الانتباه إلى الإسلام. لذلك عكفا على الترجمة إلى اللاتيني ونشرا الأعمال الدفاعية المهاجمة للإسلام لكانتاكوزين.

17) هذه الأعمال تتضمن عدة عناوين في الموروث الفيلولوجي (فقه اللغة). وج.م ميريغو ينصح بقراءتها بعد دراسة معمقة للمسألة، راجع، ميريغو: أعمال واعظ فلورنسي من الشرق في نهاية القرن 13.

18) كما أن ديمتريوس كيدونيس ترجم الخُلاصة اللاهوتية لتوماس الأكويني، وترجم كتبا لاتينية أخرى.

19) يوهانيس كانتاكوزين: ضد محمد.

20) E. Trapp : Manuel II Palaiologos. Dialogue mit einemleser op, cit, p 11-95.

20) مكرر، ص46/48، تراجع أيضا رسائل كيدونيس إلى كاراتاناسيس.

21) هذه النصوص الثلاثة لم تنشر ضمن سلسلة ج-ب ميني (Migne) طبعة منقحة لها أنجزتها أنا فيليبيديس برات، أسر الأتراك لپ الاماس الملف والتعليق في أعمال وذاكرات 7 ، باريز، 1979 ، ص109/122 (ص 109/135 «المقدمة»، ص136/165 ، رسالة إلى كنيسة تسالونيك ص168/185 ، خطاب إلى الشيونيس الملاحدة، ص187/190 : رسالة إلى مجهول). أما الطبعة الثانية المهمة والأعمال الكاملة لپ الاماس فقد أنجزها أستاذ كلية اللاهوت في تسالونيك ب،ك كريستو. كما أن طبعة غير كاملة كان وراءها د.زاكيتينوس (بالإغريقي-المترجم). ويراجع أيضا:

Georgiades Armakis "Gregory Palamas among the Turks and Documents of his capticity as historical Sources".

- في Speculum 26 (1951), P. 104 وما يليها.

22) الهيسيشازم طائفة ازدهرت في جبل أتوس وامتدت إلى تسالونيك ومناطق أخرى بالإمبراطورية. يعتقد أتباعها أن الإنسان إذا تحكمت روحه في قلبه فسيبلغ لحظة الكشف أو الانكشاف، وسيرى «النور الإلهي» كما تجلى عند ولادة المسيح في جبل طابور. والطريق إلى ذلك يمر من تطهير القلب والصلاة الموصولة في صمت. والهيسيشازم تطرح مشكلة لاهوتية مهمة. فالمناهضون لها كبارلارم دوكالابر (1290/1350) وغريغوار أكيندونيس (1310/1350) ونيسيفور غريغوراس (1295/1360) يرون ما يلي: إذا كانت الماهية الإلهية غير قابلة للتصور فتسجيل رؤية النور الإلهي وهو فيض من الماهية الإلهية المفارقة. فالله لا يعرف إلا بالروح ووحيه الطبيعي. وبناء عليه فالله موضوع للتفكير وليس موضوعا للرؤية. پالاماس يرد على هذه الاعتراضات بما يلي: صحيح أن الله غير قابل للتصور أو للإدراك غير أنه يتجلى في صفاته غير المخلوقة، ويميز بذلك بين الماهية الإلهية والصفات الإلهية، وهذه فكرة فارقة في اللاهوت الشرقي، ويبين الحلول الإلهي المباشر في العالم المخلوق وغير المخلوق، فإذا استحال انكشاف (تجلي) الله من خلال صفاته غير المخلوقة فلن يكون هناك أي اتصال بين العالم المحدود (المتناهي) والربوبية اللامتناهية، فالله ليس موضوعاً للإدراك لجهة ماهية، أو جوهر (ذاته)؛ لكنه حاضر في التاريخ من خلال صفاته غير المخلوقة، وعليه فالنور حسب پالاماس تجلّي المسيح في جبل طابور وهي صفة إلهية غير مخلوقة وبواسطته ينزل الله إلى العالم وينيره، أو يضيئه.

23) الطبعة الرئيسة للأعمال الكاملة لغريغوار پالاماس هي من إعداد أستاذ كلية اللاهوت في جامعة أرسطو بتسالونيك. ومن أعمال پ الاماس وهي في عداد خمسة أجزاء ضخمة نذكر منها:

1- الخطابات: بصدد روح القدس.

2- الخطابات المسهبة في الدحض، دحض مزاعم بارلام.

3- الخطابات السبعة والخطابات الأربعة.

4- مقالات كثيرة يتناول فيها بالعرض والتحليل التمييز بين الماهية الإلهية والصفات الإلهية غير المخلوقة، ويؤكد فيها على عدم قابلية الماهية الإلهية للإدراك وقابلية الصفات الإلهية لذلك كما للتبليغ.

5- ثم هناك كتاباته الأخرى الشاهدة على تمكنه اللاهوتي فضلا عن وعيه الكنسي النافذ. ندين في اكتشاف پالاماس للاهوتيين الكبار في الشتات الروسي خصوصا جان

ميندورن، تراجع طبعة أعمال پالاماس، ثلاثية الدفاع عن القديسين الهيسيشات لمينورف، لو□ان، 1959 ، ومدخل إلى غريغوار پالاماس والتصوف الأرثوذكسي، باريز، 1959، وأيضا، ف لوسكي: لاهوت النور عند غريغوار پالاماس تسالونيك في: الله حي1945 ، I. اعتمد كريستو على هذه الكتب لنشر الأعمال الكاملة للرجل. وشارك ميندورف وبوبرينسكوي في نشر الجزء الأول. ومنذ ذلك التاريخ، اهتم العديد من الباحثين الإغريق بأعمال پالاماس والخزانة الإغريقية غزيرة بمثل هذه البحوث.

24) راجع ترو.

25) ساكيليونوس.

26) ديوفونيوتيس في سبيروس، ولا- مبروس: الهيلينية الجديدة، 1922) ،16)، ص7/12 . طبعة جزئية من إعداد دزاكيتينوس بالخزانة الرئيسة لأيطوس 3 (أثينا، 295/302 (1957.

27) بالنسبة لهذه الطبعات راجع الدراسات السالفة الذكر.

28) كان كانتاكوزين منذ 1347 إمبراطوراً مع صهره والوارث الشرعي للعرش جان الخامس باليولوغ، وبغرض تقوية أسرته الحاكمة في مواجهة الأسرة الشرعية لآل باليولوغ سلم موريياس إلى ابنه الثاني مانويل، وسَلّم جزءاً من طراس الغربية لابنه الأكبر ماتيو. عام 1353 ذهب أبعد عندما أعلن ابنه ماتيو إمبراطوراً وحدَّ من سلطات جان الخامس يراجع كانتاكوزين ليبروم III، ص33. لذلك طلب جان من پالاماس الذي كان صديقا لكانتاكوزين ويحظى بتقدير الطرفين المجيء إلى القسطنطينية للعب دور الوسيط بينهما.

29) (بالإغريقي) 7.

30) تعود هذه الحجة إلى القرن الثامن الميلادي، وقد ألمح لذلك يوحنا الدمشقي.

31) 6 هذه المعتقدات الإسلامية واردة بالقرآن في عدة مقاطع منه، I V, ، III, 42/49 157/159 و117 ,V ،169/171.

32) Rm25 1 ,.

33) (بالإغريقي)، الفصل8 ، يراجع كريستو (بالإ-غريقي) ,IV ص124 . ويراجع: أ فيليبيديس برات، مذكور، ص143.

34) بالإغريقي، فصل3.

35) أ- أركيريو: التفاسير الإغريقية للقيامة في العهد التركي (1453/1821)، مقدمات

لتاريخ التيارات الأيديولوجية عند الشعب الإغريقي الخاضع- مطبوعات جمعية الدراسات المقدونية، تسالونيك، 1982 ، ص15/17 - سنتناول هذا الكتاب بإسهاب في الفصل الثاني من دراستنا.

36) حول شخص ووظيفة ما□روزومي، راجع: أرناكيس: غريغوري پالاماس ص/116 ، يتحدر الرجل من أسرة معروفة في آسيا الصغرى، وكان في العصر الهيتيرياركي قائداً للطائفة الإغريقية، وكان الهيتيرياؤكيون في القصر البيزنطي هم الحرس المقرب من الإمبراطور ومنهم قادةٌ لتشكيلاتٍ سياسية.

37) قارن بما سبق.

38) كانتاكوزين (بالإغريقي) 38 ، III، بون III ، ص280 وما يليها كان هذا التفاوض مرتقبا في نيقوميديا حيث كان الإمبراطور سيلقي شخصيا ورشان. غير أن الأمير لم يحضر تحت ذريعة المرض وهو ما شجبه كانتكوزين.

39) بالإغريقي، الفصل 13 ، «وبعد أن أمر ورشان بذلك اقتادنا إلى منطقة مجاورة يسكنها إغريق مسيحيون منذ زمن طويل، ويقيم فيها سفراء الإمبراطورية البيزنطية. نلتقي بهؤلاء كل يوم وجدنا فيهم العزاء».

40) قارن بما سبق.

41) الشهادة الأولى عن وجود هذا الدير تعود إلى سنة 787 في: جانين: الكنائس والأديرة في المراكز البيزنطية الكبرى. باريس، 1975 ص121/124 وفانوركاكبيس (بالإغريقي).

43) البحث التاريخي منقسم حول مسألة هوية الشيونيس، يراجع:) Geogiades Arnakis: “Gregory Palamas among the Turkes and the Documents of his capticrity as Historical Sources” in : Speculum 26 (1951), p. 107/108. هذا الكتاب يعدّ الشيونيس قادة لما يدعى «أخي» وهي طوائف شبان عزاب أغلبهم حرفيون يجتمعون لتناول وجبات وممارسة شعائر دينية. أما Wittek فيفترض أن كلمة الشيونيس تركية فارسية، وأرناكيس يرفض هذا الفرض في دراسته حول غريغوري پالاماس. أما ميندروف فيرى أن الشيونيس هم يهود مثقفون أو مسيحيون قدامى من أصول يهودية اعتنقوا الإسلام, ومحاولته إثبات أنهم أتباع هرطقات مسيحية هودت اعتنقوا بعد ذلك الإسلام لا تتطابق مع ما ورد عند پالاماس.

* فالشيونيس بدأوا بتطوير عديد من الآراء والأساس في مزاعمهم هو: «سمعنا الوصايا العشر التي أتى بها موسى في الألواح، ولاحظنا أن الأتراك يحترمونها، فتركنا ما كنا نؤمن به، واقتربنا منهم وصرنا بدورنا أتراكا مثلهم». فپالاماس إذن محق عندما قال

بأن الشيونيس هم يهود اعتنقوا الإسلام: «وسأفعل (يقول پ‌الاماس) ليس بغرض الدفاع عن نفسي في مواجهة الشيونيس؛ لأن هؤلاء -حسب ما سمعت وما يقولونه- كشفوا عن يهوديتهم وليس عن تركيتهم، غرضي الآن ليس هو مخاطبة يهود».

44) حول هذا الضابط يراجع فيليبيديس براط، مذكور، 168.

45) كل المصادر تنسب كتابة الخطاب للطبيب طاروطيس، يراجع (إغريقي) الفصل 17. فيلوطيوس كونيوس في حياة پ الاماس (25 ،8، ب ك كريستو، مذكور، ص374) يذكر بأن طاروطيس بعد كتابته أرسل بعثة من هناك إلى مسيحيي الإمبراطورية البيزنطية. يراجع عنوان الخطاب في طبعة كريستو. في مختلف المخطوطات، تجد بالعنوان اختلافات طفيفة أشار إليها الناشرون عند التنقيح.

46) المرجع السابق.

47) المرجع السابق.

48) القران IV, 171.

49) يشرح المفسرون المسلمون الآية في السورة IV, 171 بالقرآن، على عدة تأويلات، تتكرر لدى عددٍ من المفسِّرين.

50) اللوغوس في الإغريقية له عدة معاني: أ) الكلمة، كلام الله. ب) الكلمة- الخطاب. ج) العقل. وبالتالي فإذا كان الله بلا-لوغوس (عقل) والذي معناه أيضا بالإغريقي كلمة، فسيكون كلام الله غير متعقل.

51) راجع القران IV,171.

52) المرجع السابق.

53) 4 6 DT 60 (Gn 1,3 61) 148,5, Ps, 32,9

54) بالإغريقي، فصل 7/9، كريستو، ص155/156.

55) بالإغريقي، فصل 10، كريستو، ص156/157.

56) راجع Job 65 ،14 ،5/4) بالإغريقي، فصل 11، كريستو 157/158.

57) حول آراء المسلمين في كلمة الله، راجع الحلقة الأولى، الجزء 1، فصل 13.

58) راجع He 68 1،2 (بالإغريقي 69، بالإغريقي 70) بالإغريقي.

59) فتغيير الكهنوت يؤدي حتما إلى تغيير الشريعة، عن كريستو، ص162/165.

60) بالإغريقي، فصل 15، عن كريستو، ص163/164.

61) المرجع السابق.

62) المرجع السابق.

63) الشهادة الأولى حول هذا الدير تعود إلى 787، راجع جانين: الأديرة- مذكور من قبل، 1975، ص121/124.

64) المرجع السابق.

65) زياكاس في كتابه (بالإغريقي) في المجلة العلمية لمدرسة اللاهوت في جامعة أرسطو بتسالونيك، الجزء 20 ، تسالونيك، 1976 ، ص365/368 . وفيه يعرض التصورات الإسلامية التي تتحدث عن الدجال في آخر الزمان، عند ما يظهر يبعث الله يسوع المسيح ابن مريم لقتله وإدخال المسيحيين إلى الإسلام.

66) القرآن، سورة XIX, 30/34.

67) يذكر القرآن في غير موضع أبا الأنبياء إبراهيم وقصته مماثلة لما ورد في سفر التكوين واستحضرها الحواري بولس.

68) الكتب الأربعة هي توراة موسى، والزبور، والإنجيل، والقرآن.

69) الأعمال الكاملة (بالإغروقية)، ص134، سطر 9.

70) الأعمال الكاملة، فصول 14 و16 و21 و27.

71) الأعمال الكاملة، فصل 16، سطر 4.

72) بالإغريقي، الفصل 24 وأيضا كريستو: بالإغريقي IV, ص134/135.

73) القران، السورة LXI, 6.

74) (بالإغريقي) فصل 6-12 24 وأيضا كريستو (بالإغريقي).

75) المصدر نفسه، فصول 24 ،11 ، 5.

76) راجع بالإغريقي، فصل 28، ب ك، كريستو، ص137/138. أ) بوليبيدس براط، ص161.

77) المرجع نفسه، 11 ،14.

78) (بالإغريقي) فصل 8، كريستو: بالإغريقي، IV, ص130. وأيضا ل. ديوفونييوتيس.